مجلة أبعاد مجلد 10، العدد 02، 2023
ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

مترجمو الجيش الفرنسي غداة احتلال الجزائر سنة 1830

Translators of the French army after the occupation of Algeria in 1830

دباب بومدين*
تاريخ جامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس –(الجزائر)
Boumedienedebab1973@gmail.com

****

تاريخ الإرسال: 2022/12/29	تاريخ القبول: 2023/10/22	تاريخ النشر: 2023/12/31

ملخص: وظف الفرنسيون عشية احتلالهم للجزائر سنة 1830م اللغة العربية لخدمة مصالحهم الاستعمارية ولتحقيق هذه الغاية استعملوا عدة طرق للوصول إلى هدفهم المنشود من بينها الترجمة التي اعتبرت أحد معاول الغزو على حد تعبير أبو القاسم سعد الله.

إن الترجمة كانت إحدى وسائل اطلاع الفرنسيين على مختلف خصائص المجتمع الجزائري الدينية والثقافية والتاريخية،

ووسيلة اتصال وتواصل بين الإدارة الاستعمارية والأهالي في الجزائر، لذلك أولت هذه الأخيرة أهمية كبيرة للترجمة والمترجمين الذين كانوا في الغالب من العسكريين.

سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية تتبع التجربة الفرنسية في هذا المجال؛و تبين إستراتيجية المترجمين لإنجاح المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر من جهة؛ وما نتج عنها من بناء معرفة استعمارية عامة حول الجزائر من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: الترجمة؛ الاستعمار الفرنسي؛ الجزائر.

abstracts:

On the eve of their occupation of Algeria in the year 1830 AD, the French employed the Arabic language to serve their colonial interests. To achieve this end, they used several methods to reach their desired goal, including translation, which was considered one of the colonial shovels in the words of Abu al-Qasim Saad Allah.

The translation was one of the means of acquainting the French with the various religious, cultural and historical characteristics of Algerian society.

And a means of communication and communication between the colonial administration and the people in Algeria, so the latter attached great importance to translation and translators, who were mostly military.

* المؤلف المراسل: Boumedienedebab1973@gmail.com

We will try, through this research paper, to trace the French experience in this field; and to show the translators' strategy for the success of the French colonial project in Algeria on the one hand; and what resulted from it in building general colonial knowledge about Algeria on the other hand.

Keywords: translation ; French colonialism ; Algeria.

1. مقدمة:

اعتبرت الترجمة إحدى الآليات الأساسية للجيش الفرنسي عشية احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م، حيث لعب المترجمون الذين رافقوا الحملة الفرنسية دورا لايستهان به للوساطة بين المستعمر والمستعمرين وتأسيس مايعرف بـ" المعرفة الاستعمارية".

ونظرا لأهمية الترجمة تنبه القادة العسكريون الفرنسيون بضرورة تنظيم صفوف المترجمين داخل الجيش الفرنسي حتى أضحوا مؤسسة وظيفية يخضعون لنظم وتراتيب معينة؛ وقد نتج عن ذلك ظهور عدد كبير من المترجمين في الإدارة والمكاتب العربية وحتى القضاء.

لقد مرت الترجمة في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية بعدة مراحل؛ فمن مرحلة الخمول والرداءة في بداية الاحتلال إلى مرحلة التطور والازدهار، ومن هذا المنطلق حولنا الوقوف على إرهاصاتها وما مدى إسهاماتها في خدمة المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر؟ وما الذي أضافته إلى " المعرفة الاستعمارية"؟

2. الحملة الفرنسية على الجزائر 1830م والمترجمون الأوائل:

كان نجاح أو فشل الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م الشغل الشاغل للسّاسة والعسكريين الفرنسيين، لذلك قاموا بدراسة خاصة للجزائر عن طريق المترجمين كما استفادوا من دراسات أوروبية أخرى مترجمة كانت تسعى لنفس الهدف المتمثل في احتلال الجزائر، فوظّف الفرنسيون تجاربهم وخبراتهم السابقة في حملتهم ضد الجزائر بالاستعانة بالدبلوماسيينوالجواسيس[1]، وخاصة من بقايا المترجمين الذين شاركوا في الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م فهم الذين تولوا الترجمة لجيش دي

[1] محمد الصالح بكوش، دور المترجمين في احتلال فرنسا للجزائر، مجلة أول نوفمبر، العدد 170، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، افريل 2007، ص 18

بورمون في الجزائر؛ وكان من هؤلاء التراجمة رجال مشارقه من مصر وسوريا ورجال أوروبيون من الفرنسيين وغيرهم[1].

وتجدر الملاحظة انه قبل الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر اضطر الساسة والعسكريون الفرنسيون إلى الاستعانة بالمترجمين مرتين سابقتين في حملتهم ضد مصر وفي احتلالهم لمنطقة موريا سنة 1828م[2]، ففي مصر لم يتحصل المترجمون على رتب عسكرية لأنهم كانوا ينتمون إلى لجنة العلوم والفنون[3].

لقد اعتمدت الحملة الفرنسية ضد الجزائر على التراجمة الذين تخرجوا من مدارس اللغات الشرقية الأوروبية أو من الذين جاءوا من الشام ومصر بعد إن ارتبطوا بالحضارة الأوروبية، بالإضافة إلى المطبعة والصحيفة والمستشرقين الذين يدعون معرفة الإسلام وتاريخه[4]، بالإضافة إلى يهود الجزائر الذين كانوا على معرفة باللغتين العربية والفرنسية.

ولم يقتصر دور هؤلاء المترجمين على الوساطة بين الجماهير والمحتل، وإنما كانوا بمثابة الجواسيس والعيون يترصدون نبض الشعب ويرصدون ركائزه الفكرية والثقافية، وما إن تمكنوا من تذليل الصعوبات وسيطرة الجيوش الفرنسية على أهم المدن الجزائرية حتّى سارعوا لجمع المخطوطات والوثائق وعادوا بأكداس اشتغلوا بدراستها وترجمتها إلى اللغة الفرنسية والتأليف استنادا عليها وازداد هذا النشاط حتى تشكّل المكتب العربي العسكري في هذه المدن[5].

وفي هذا الصدد، وتمهيدا للحملة الفرنسية ضد الجزائر أرسلت بعثة فرنسية جاءت إلى تونس في شهر ابريل سنة 1830م والتي كانت تتكون من ثلاث مترجمين وهم " دوبينيوسك" و" جيراردان" و"ريمبير"، هدفها التجسس على أحوال المسلمين والكشف

[1] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 04، طبعة خاصة، ط03، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 22-23

[2] جزيرة تقع جنوب المحيط الهادي وهي حاليا اداريا جزء لايتجزأ من فرنسا في اطار مايعرف "بولينيزيا الفرنسية".

[3] Charles feraud,les interprètes de l'armée d'afrique,jourdan libraire editeur,alger,1876,pp :21-36.

[4] محمد الصالح بكوش، المرجع السابق، ص 20.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 06، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 246.

عن نوايا باي تونس آنذاك ومعرفة مواقفه اتجاه داي الجزائر وكذلك البحث عن مصادر لتمويل الجيش الفرنسي الغازي للجزائر في المستقبل[1].

لقد كللت تلك المهمة بالنجاح حيث تلقى قائد الجيش الفرنسي "دوبرمون" تقارير عن الأحوال السياسية والاقتصادية للبلاد التونسية واحتمال تقديم باي تونس مساعدات لداي الجزائر، واقترحت نزول الجيش الفرنسي في شبه جزيرة سيدي فرج، كما الّحت على ضرورة احتلال الجزائر قبل حلول فصل الشتاء وتطرقت كذلك للمسائل الدينية الخاصة بالجزائريين وعاينت الأحوال الجوية المناسبة لإبحار الأسطول الفرنسي اتجاه الجزائر[2].

وتجدر الاشارة الى انه تمّ من قبل تكليف "بيانشيمي" مترجم وكاتب الملك شارل العاشر سنة 1829م بمرافقة الكونت " دي لابريتونيار" المبعوث في مهمة الى مدينة الجزائر من اجل إصلاح العلاقات الجزائرية الفرنسية نتيجة "حادثة المروحة" لكن دون جدوى، فسعى الفرنسيون إلى إضعاف معنويات الجزائريين بواسطة عملائهم ومنشوراتهم السرية وقبل إن يغادروا ميناء تولون في اتجاه الجزائر اعلنوا عن بيان كتب باللغة العربية وأرسلوا منه حوالى 400 نسخة إلى قنصلهم في تونس" دي ليسبس" لتوزيعها في الجزائر عن طريق المترجمين[3].

ويرى أبو القاسم سعد الله إن النسخة العربية للبيان تفتقد إلى الفقرة الواردة في نسختين مترجمتين عن جريدة "لومونيتور" الفرنسية الصادرة يوم 02 جوان 1830 والمتمثلة في:"...ان الفرنسيين سيعاملونكم كما تعاملوا مع إخوانكم المصريين الذين يفكرون فينا دائما ويأسفون على مغادرتنا لهم منذ ثلاثين عاما، ومازالوا يبعثون أبناءهم الى فرنسا ليتعلموا القراءة والكتابة وغيرهما من المهن المفيدة..."[4].

كلفت وزارة الحربية الفرنسية العقيد "كليرمو دي تونير" باعداد الخطوات الضرورية لتنفيذ الحملة الفرنسية على الجزائر واتقانه للغة العربية سهل من مهمته، وتحت ادارة القائد "اوفردول" قسم المهام على مكتبين: فالمكتب الاول خاص بتحديد خطة الهجوم

---

[1] ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 20.

[2] Charles feraud, op.cit,pp :48- 61.

[3] نشر البيان لاول مرة باالغة العربية في العدد السادس من المجلة الافريقية سنة 1862 مع ترجمة فرنسية قام بها بريسني، ص ص 153-156.

[4] ابو القاسم سعد الله،ابحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج01،ط03،طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص274- 275

بالاستناد على الرسومات والخرائط لسواحل الجزائر والتي اعدّها "بوتان"، اما المكتب الثاني فيهتم بتنصيب فرقة المترجمين والمرشدين، وبانتشار خبر الحملة في فرنسا لم يتقدم الى هذا المكتب المترجمين فحسب بل وحتى الجزائرين الماكثون في فرنسا بحثا عن العمل ؛فقد تقدم إلى المنصب كل من كانت له علاقة باللغة العربية حتى وان كان لايجيد كتابتها وحتى قراءتها.

كان أول من تقدم للتجنيد في الترجمة المستشرق "bracevich " استاذ مدرسة اللغات الشرقية ومترجم سابق لبونابرت و"jacob habaiby"، وفي شهر مارس قدمت لوزارة الحربية الفرنسية القائمة الأولية للمترجمين والمرشدين حسب الدرجات والمتمثلة فيما يلي[1]:

أ/مترجمين من الدرجة الاولى:

شاركا في حملات استطلاعية عبر سواحل الجزائر	Gerardin et d'aubignosc
كاهن كاثوليكي من اصل سوري	Charles zeggar
مترجم سابق لبونابرت	Bracevich
عقيد سابق في الحراسة الملكية	Jacob habaiby

ب/مترجمين من الدرجة الثانية:

خريج المدرسة الملكية للغات الشرقية بباريس	Vincent
مترجم سابق	Muller
طبيب وخريج المدرسة الملكية للغات الشرقية	Eusebe de salle

ج/ مترجمين من الدرجة الثالثة:

يجيد اللغة العربية ،الفرنسية، الاسبانية والانجليزية	Abi tebal
عين من طرف الدوق	Abdelal d'escars
قائد كتيبة وخريج مدرسة اللغات الشرقية بباريس	Boyer
قائد سرب الحراسة الملكية	Abdellah d'hasboune

كما خصصت لهم رتب ورواتب شهرية وألبسة خاصة، ومإن احتلت فرنسا الجزائر سنة 1830م اضطرت سلطات الاحتلال إلى إلحاقهم بمناصب إدارية لتسيير شؤون البلاد؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر عيّن aubignosc رئيسا ومديرا للشرطة وكلف gerardin

[1] بليل وداد، الترجمة في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي 1830- 1962، أطروحة دكتوراه علوم غير منشورة في الأدب الحديث، جامعة أم البواقي، 2016-2017، ص ص 39- 40.

بالإحصاء الرسمي لممتلكات الدولة والأراضي العامة، وهذا ماكلف الخزينة الفرنسية آنذاك أموالا طائلة نظرا للعدد الهائل من المترجمين ناهيك عن تضارب الآراء فيما بينهم؛ بين مؤيد للاحتلال الكلّي ومعارض له[1].

كما ساهمت عودة العناصر النشطة في الترجمة مثل aubignosc إلى فرنسا سنة 1832م واهتمامه بالتأليف من خلال كتاب اسماه " اعتبارات حول الجزائر" إلى فقدان هيئة المترجمين الأوائل المرافقين للجيش الفرنسي قيمتها الإستراتيجية وضعف نشاطها وارتكبت أخطاء كبيرة في مراسلاتها مع الجزائريين ومقدمي القبائل، فلم تكن لها القدرة على تبليغ محتوى المطالب الفرنسية بدقة وهكذا خاب أمل فرنسا وضاع ماكانت تنتظره من هؤلاء المترجمين، لذلك عمدت إلى إصلاح هذه المؤسسة من جديد خاصة بعدما تكاثرت تقارير ومطالب نخبة من أفرادها الأكفاء على وزارة الحربية الفرنسية تؤكد على ضرورة إعادة إصلاحها[2].

3. تشكيل هيئة المترجمين العسكريين:

استعادت الترجمة بريقها في صفوف الجيش الفرنسي بعد مجيء الدوق" دي روفيقو" الى الجزائر سنة 1832م، حيث استعان هذا الاخير ببعض القناصل والمستشرقين الاكفاء من قنصليات فرنسا في البلدان الاسلامية ودارسو اللغات الشرقية في المشرق العربي مثل "دي لابورت" قنصل فرنسا في المغرب و"جوني فرعون" الذي يعتبر من مواليد القاهرة وابوه الياس فرعون السوري الاصل ؛ كان اول استاذ للغة العربية في الجزائر وكوّن عدة معربين بارزين في صفوف الجيش الفرنسي مثل"لامورسيير" و"بيليسي دي رينو" و"دوماس"[3].

بالاضافة الى "جنتي دي بوسي" الذي انشأ مكتبة عامة جعل نواتها الرئيسية من المخطوطات العربية التي جمعت من المساجد وغيرها، كما ساهم في انشاء مطبعة عربية فرنسية لطبع المنشورات الرسمية وجريدة" le moniteur algerien" ،كما قام بتقديم دروس باللغة الفرنسية موجهة لحضر ويهود مدينة الجزائر ودروس باللغة العربية موجهة للاوروبيين[4].

---

[1] بليل وداد، المرجع السابق، ص 49.

[2] Charles feraud, op.cit,p :61.

[3] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء...، ج04، المرجع السابق، ص ص 25-26.

[4] المرجع نفسه، ص 26.

وباحتلال مدينة عنابة ووهران وقسنطينة تعددت مراكز هيئة المترجمين على الشكل التالي: ثلاثة مترجمين رئيسيين من الدرجة الأولى موزعين على الجزائر ووهران وقسنطينة،وثمانية مترجمين من الدرجة الثانية موزعين على الجزائر وستة في وهران وستة في قسنطينة، بالإضافة إلى أربعة مترجمين من الدرجة الثالثة وخمسة عشر إضافيين وزعوا على باقي المدن الجزائرية[1]، وفي سنة 1863م قام الماريشال "بيليسيه" بتحديد ثلاثة عناصر من المترجمين[2]:

1 المترجم الذي يعرف الفرنسية ويجهل العربية

2 المترجم الذي يتحدث العربية ولايعرف الفرنسية (اليهود الأهالي).

3 المغامرون الذين لايعرفون اللغتين.

وأمام حاجة الإدارة الاستعمارية إلى موظفين فرنسيين يعرفون اللغة العربية استصدر الماريشال "بيجو" مرسوما ملكيا سنة 1845م يقضي إنشاء وتنظيم فرقة المترجمين العسكريين حيث كوّن لجنة لتوظيفهم بقيادة "دوماس" مدير الشؤون العربية ومن أعضائها البارزين نذكر "ادريان بربروجر" محافظ المكتبة و"بريسنيه" أستاذ اللغة العربية و"ريفي" ضابط كتيبة و"ليون روش" مترجم شفوي الحاكم العام[3].

وأصبح الدخول الى هذه الهيئة خاضعا لشروط مدروسة وإجراءات يراعى فيها خاصة سيرة الفرد وانتمائه السياسي، كما فتح الباب أمام الجزائريين للالتحاق بها بشرط إن يكونوا من عائلات معروفة وهدفهم خدمة أهداف الهيئة لاغير،واحتوى برنامج الالتحاق بها على مواد علمية؛ فكان يضم التاريخ والجغرافيا الشاملة للجزائر وتونس وفرنسا بالإضافة الى المواد اللغوية والحساب، على انّ هذا البرنامج ظل متغيرا طيلة القرن 19م، فنجد مثلا إن برنامج سنة 1901م كان ينقسم الى قسمين: فالقسم الاول منه كان معنونا بـ" التعليمات المهنية" والقسم الثاني " التعليمات العامّة" والذي ضمّ مايلي:

جغرافية إفريقيا: وتنقسم بدورها إلى حلقتين فالأولى خاصة بإفريقيا عامة ماعد الجزائر وتونس والثانية خاصّة بالجزائر فقط.

---

[1] Charles feraud,opcit pp :93-113-114

[2] حنيفي هلايلي، المترجمون في الجيش الفرنسي:آليات وركائز الادارة الاستعمارية في الجزائر 1830-1962، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 11-12، مارس 2016، ص 177.

[3] المرجع نفسه، ص 177.

الجغرافية العامة وجغرافية فرنسا: اهتم في جزئه الأول بالجغرافية العامة باستثناء فرنسا وإفريقيا، أما القسم الثاني منه يكون مخصصا لجغرافية فرنسا الطبيعية والاقتصادية مع جغرافية مستعمراتها في إفريقيا وآسيا.

تاريخ إفريقيا الشمالية: ضم القسم الأول منه تاريخ إفريقيا الشمالية من العهد القرطاجي إلى سنة 1830م ويحتوي القسم الثاني على تاريخ الجزائر من 1830م حتى زمن الامتحان.

تاريخ فرنسا: وقسم إلى ثلاث حلقات: الأولى من 1559م إلى 1789م والثانية من 1789م إلى 1830م والثالثة من 1830م إلى الوقت الحاضر.

الحساب والهندسة التطبيقية: يمتحن فيها المترشح مع حلّ بعض المسائل التطبيقية في المادتين، مع إجراء امتحان كتابي وآخر شفوي[1].

إن المشكل الذي واجهته هذه اللجنة هو عدم توفر كل هذه الشروط بالجزائر آنذاك مما دفع الكلية الحربية إلى فتح مدرسة المترجمين الشفويين بباريس كملحقة لاكمالية اللغة العربية وتأسست بأمر ملكي، مع إدخال بعض التعديلات المتمثلة فيما يلي[2]:

الفئة الاولى: تضم المترجمين الشفويين مصنفين في رتبة ضباط والتي قسمت بدورها الى ثلاث درجات:

الدرجة الاولى: متكونة من مترجمين شفويين رئيسيين

الدرجة الثانية: متكونة من مترجمين شفويين قسم أول

الدرجة الثالثة: متكونة من مترجمين شفويين قسم ثان والتي بدورها قسمت الى قسمين:

القسم الاول: وهم المترجمون الشفويون الطلبة

القسم الثاني: المترجمون الشفويون الملحقين والذين يعملون في مختلف الجهات.

كما عين مترجم شفوي رئيسيا من كل فئة في كل نواحي الجزائر متابع ومراقب من طرف رئيسه المباشر المتواجد في مدينة الجزائر.

لقد لعب بعض الجزائريين دورا فعالا وحاسما في تكوين وبناء فرقة المترجمين العسكريين وادراة شؤونها نظرا لإتقانهم اللغتين العربية والفرنسية، فمنهم من خضع لكل إجراءات الامتحان كغيره من الفرنسيين وحتى التفوق عليهم، ومنهم من وقع أسيرا

[1] يوسف مناصرية، دور المترجمين العسكريين في الجيش الفرنسي بالجزائر، مجلة التاريخ، عدد خاص 13، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1981، ص 50.

[2] بليل وداد، المرجع السابق، ص ص 50-51.

بين أيدي الفرنسيين وهو صبي فتم التحاقه بثانوية "لويس الكبير" [1] وبعدها عين مترجما عسكريا ومنهم من تخرج من المدارس العربية الموجودة في الجزائر وقسنطينة وتلمسان[2]، وقد قدم هؤلاء المتعلمون خدمة كبيرة للغة والحضارة والثقافة الفرنسية وصنف أبو القاسم سعد الله المادة التي ساهم بها الجزائريون في حركة الترجمة بأربعة أصناف وهي: اللغة والتعليم والفقه والأدب والتاريخ والاجتماعيات[3]. ومن أهم المترجمين الجزائريين في الجيش الفرنسي مايلي:

اسم المترجم	مهامه
Ahmed ben rouila[4]	ولد بالجزائر سنة 1830م،كان مستشار الأمير عبد القادر وبعد اسره نقل الى فرنسا سنة 1843م أين تعلم في مدرسة سان لويس ونصب مترجما مساعدا من الدرجة الثانية.
Cherif ben Ali	ولد بالجزائر سنة 1829م، سجن صغيرا ونقل الى فرنسا وتلقى تعليمه وعين مترجما مساعدا من الدرجة الثانية سنة 1850م.
Ali ben Mohamed[5]	ولد بالجزائر سنة 1818م، نصب مترجما مساعدا سنة 1839م
Taleb ben neggad	ولد بقسنطينة، شغل منصب مترجم شفوي سنة 1855م.
Mohamed ben Daoud	كان والده مساعدا للسلطة الفرنسية منذ 1835م وهذا ماأهله للالتحاق بالمدرسة السلطانية للتعليم المزدوج ثم الى المدرسة العسكرية الفرنسية.
Moussa el chergui	ولد بالعاصمة سنة 1820م ،تحصل على الجنسية الفرنسية سنة 1866م، انضم الى فرقة المترجمين الشفويين سنة 1846م وتحصل عى وسام الشرف سنة 1875م.

ويبدو أن وظيفة المترجم الأساسية تعدت مجالات الخدمة من مشاركة الجيوش في الحملات العسكرية، إلى مجال الاستعلامات والتخصص في علوم الإنسان لمعرفة الشعوب المستعمرة، وهذا ما نص عليه فيرو في كتاباته:" بواسطة اللغة يمكن معرفة خصائص المجتمعات التي لاوجود لوثائق لها"[6].

[1] أنشئت سنة 1563م بباريس تحت اسم "كلية كلارمون"، ليتم إعادة سميتها للويس الرابع عشر سنة 1683م بعد أن مدّ رعايته

[2] Rene basset « les chaires de langue arabe d'alger,de Constantine et d'oran 1832-1879 » in R.A n 24, 1924, P :30.

[3] ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج06، المرجع السابق، ص ص 173-180.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 05، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 159.

[5] Charles feraud,opcit p :159

[6] Charles feraud,opcit p :372.

لقد أدى التعاون بين ضباط المكاتب العربية والمترجمين إلى رصد المعالم الحضارية والثقافية للشعب الجزائري فأنجزوا دراسات شملت حقول معرفية مختلفة وتعلم الاوروبيون اللغة العربية، وانخرط العديد من المترجمين في الجمعيات العلمية التي تأسست في الجزائر وغيرها مثل الجمعية التاريخية الجزائرية ولسان حالها " المجلة الافريقية"، والجمعيات الأثرية والجغرافية لمدن كل من وهران والجزائر وقسنطينة. التي تولت نشر أعمالهم من تآليف وترجمة للنصوص وتحقيق للمخطوطات وجمع للوثائق والتعليق عليها.

كما اشترك المترجمون الفرنسيون والجزائريون في انجاز قواميس وكتب تعليمية مزدوجة اللغة، هذا التعاون شمل فيما بعد المجالات العلمية والفقهية وغيرها وهذا ماسنوضحه في الجدول الآتي على سبيل الذكر لا الحصر:

المترجم الجزائري	المترجم الفرنسي	مجال التعاون
احمد بن مصطفى بومزراق	Andrien pierre	ترجمة رحلتي العياشي والدرعي
محمد ولد السعيد	Zeys	ترجمة إعمال قضائية وفقهية
سي محمد بن مصطفى	Albert devoulx	ترجم الوثائق المكتوبة بالتركية الى العربية ليترجمها دوفو الى الفرنسية.
احمد بن برهمات	Louis rinn	تعاونا في تأليف كتاب في تعلم الفرنسية وهو كتاب عربي فرنسي.
الغوثي بوعلي	George mercier	الترجمة الى الفرنسية كتاب روضة النسرين في تاريخ بني مرين.
احمد بن داود	Dominique louissiani	كتب المترجم الجزائري مذكرة عن حياة عبد الرحمن الاخضري بطلب من لويسياني عندما اراد ترجمة كتاب السلم للاخضري.

4. الأثر العلمي ولاستكشافي للمترجمين العسكريين:

بالرغم من أنّ غاية المترجمين كانت تكمن في نجاح "المشروع الاستعماري"، إلا أنّ الكثير من هؤلاء تحوّلوا إلى مدرّسين، مؤرخين، إثنوغرافيين وأنثربولوجيين بحيث ساهموا بقدر لا يستهان به في بناء مدونة عالمة ومعارف جديدة حول البلاد المغاربية المستعمرة وخاصة الجزائر وشملت مجالات مختلفة.

أ/الترجمة والتعليم: بعد تنفيذ فرنسا الاستعمار مباشرة، وفي سنة 1836م فتحت فرنسا مدارسها الازدواجية النظام شكلا، إلا أنها في الحقيقة حصرت في اللغة الفرنسية وحدها هادفة لكسر اللغة العربية؛ الأمر الذي دفعها إلى تهديم المئات من المدارس الجزائرية والزوايا الخاصة بالتعليم العربي الإسلامي والدفع بعلماء الجزائر آنذاك إلى

الهجرة نحو البلدان الإسلامية وهذا ماحدث فعلا مابين 1830م و1831م حيث انقرض الطلاب والتلاميذ والعلماء.

وأصبح التعليم إجباريا للفرنسيين دون الجزائريين رغم اعتبار الجزائر جزءا لايتجزأ من فرنسا، ونقلت اختصاصات التعليم من وزارة الحربية الى وزارة المعارف العمومية، وتمّ إنشاء المدارس الشرعية الفرنسية ابتداء من سنة 1850م في كل من الجزائر وقسنطينة ووهران والتي كانت بإدارة من الجزائريين ولا تدرس إلا العلوم العربية والدينية وكان هدفها تخريج عدد من القضاة والمترجمين ممّن تحتاج إليهم الإدارة الفرنسية، وفي سنة 1876م اضيفت الى مواد الدراسة في المدارس الثلاث اللغة الفرنسية وجغرافية وتاريخ فرنسا والقانون الفرنسي وأصبحت إدارتها تحت المستشرقين الذين كانوا يسهرون على حلقات العربية[1].

وبذلك وقع دمج الحلقات في المدارس وتوحدت الإدارة تحت زعماء الاستشراق وأصبحت المدارس الثلاث تدعى " الفرنكو-ميزولمان" باعتبار موادها المختلطة وأصبح لزاما على الجزائريين أن يتعلموا الفرنسية إذا أرادوا الوظيفة وليس العكس، بالاضافة الى انشاء مدرسة الآداب العليا في باريس والتي اهتمت بتدريس اللهجات العربية والبربرية والفت عدة كتب وقواميس ومعاجم لخدمة اللغة الفرنسية، غير ان معظم ماكتب خلال هذه الحقبة كان ناتجا عن مطالب السلطة الفرنسية او الجهاز العسكري بالإضافة إلى تأليف الكتب وإنتاج الدراسات حول تاريخ وحضارة الجزائر مع طمس هويتها وكل ما يربطها بالتاريخ الصحيح.ومن خلال هذه السياقات تتضح صورة المترجم إسماعيل أوربان كمترجم عسكري وسيط من أجل جزائر عربية فرنسية[2].

وفي سنة 1880م افتتحت في الجزائر أربع مدارس عليا أصبحت سنة 1909م الكليات الاربع لجامعة الجزائر وهي الطب والحقوق والعلوم والآداب، هذه الأخيرة التي تولاها منذ البداية مستشرقون بارعون تخرجوا من مدرسة اللغات الشرقية وجعلوا همهم خدمة الإدارة الاستعمارية بالكشف عن اللغة العربية وآدابها وتراثها الحضاري، وكان

[1] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء ...، ج 04، ص 199.
[2] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص 182.

أول عميد لها هو "ايميل ماسكري Émile Masqueray" [1]،و بمجرد ان تحولت مدرسة الآداب الى كلية سنة 1882م تولى رئاستها "رينيه باصيه Rene basset" الى غاية سنة 1924م حيث أسس ما أصبح يعرف "مدرسة الاستشراق الفرنسي في الجزائر" وألف عدة مؤلفات في الأدب الشعبي والأدب الجاهلي ودراسة اللهجات الإفريقية مثل الهوسة والامهارق، كما حقق العديد من المخطوطات وترك وراءه جيشا من تلاميذه فرنسيين وجزائريين واصلوا مسيرته العلمية الاستكشافية لكنوز الجزائر[2].

كما تمخضت المعرفة الواسعة للمترجمين العسكريين الذين جابوا ربوع الجزائر عن إصدار عدة مؤلفات في التاريخ والجغرافيا والدين. ومن بين تلك المؤلفات نذكر "**الإخوان" عن الطرق الدينية الإسلامية في الجزائر** 1859 لمؤلفه شارل بروسلار Brosselard Charles،بالإضافة إلى كتب "غورجو" حول الجزائر مثل كتاب "**شرائح الجزائر السبعة** 1891 *les septs plaies de l'algerie*"، وكتاب "**حالةالجزائرالسياسية** 1881 *Situation politique de l'Algérie* ".

ولم يكن دور المترجمين العسكريين ذوي الأصول الجزائرية أقل أهمية عن غيرهم من المترجمين العسكريين، وذلك بغض النظر عن الدور العسكري أو المناصب الإدارية التي تقلدوها، ومن أهم هؤلاء الذين يثني عليهم فيرو في كتابه نذكر "خوجة سي أحمد البدوي"، "أمين اللغة العربية" على حدّ تعبير صاحب الكتاب، وقد كان خوجة قد تخرّج بجدارة من "المسجد الكبير" بالجزائر وعمل موظفا بالحكومة، وبمجرد وصول الكولونيل " دوما" Daumas" مدير الشؤون العربية إلى الجزائر، تعرّف خوجة على الماريشال بيجو الذي عيّنه سكرتيرا للمترجم الرئيسي" م. روش M. Roches"، وبقي في الفترة التي احتدمت فيها الحرب بين 1854 و1857 في المنطقة الكبرى برفقة العديد من المترجمين الرئيسيّين إلى أن أنشأت الحكومة الجريدة الناطقة باللغة العربية "المبشّر" Mobacher"، التي حاولت من خلالها تمرير الأفكار التحضرية الفرنسية إلى الأهالي. وهكذا، شارك خوجة سي أحمد البدوي بصفة فعالة في هذه الجريدة عبر

[1] مستشرق فرنسي عني بالدراسات الاجتماعية لقبائل البربر في الجزائر، ومن أثاره كتاب بعنوان" تكوين المدن عند السكان المقيمين في الجزائر" وتحقيق مخطوط "تاريخ ابي زكريا" والذي نشر سنة 1878م بالجزائر.

[2] المرجع السابق، ص 200.

كتابات ومقالات تنمّ عن قدراته اللغوية وكفاءاته الفكرية، وذلك دون الإخلال أو المساس بالمعتقدات الدينية المحلية أو العرقية[1].

ب/الترجمة والإدارة: بعد أن استتب الأمر للفرنسيين نظموا فرق المترجمين في مختلف الميادين، وظهر عدد منهم في الإدارة والقضاء، وأضحت ترجمة أحكام الشريعة أمرا ضروريا من اجل معرفة المجتمع الجزائري والتحكم فيه وهذا ماادّى الى تواجد نظام الازدواجية في القضاء.

لقد تم إلحاق فرقة ترجمية محلفة بمجلس القضاء والمحاكم بقرار 10 اوت 1832م من اجل ترجمة الأحكام القضائية باللغة الفرنسية، كما تقرر عدم السماح للمترجمين القضائيين من ممارسة مهنة أخرى حتى لايقعون في أخطاء قضائية وتلاعبات في ترجمة الأحكام الصادرة، إلا أن هذه المحاولة انتهت بالفشل بسبب الفجوات والعراقيل الكبيرة بين الحضارتين لغة وثقافة وتقاليد ودينا مما جعل ابسط الجمل في بعض الأحكام القضائية تعتبر عائقا أمام الترجمة الفرنسية.

فلابد للمترجم الى اللغة العربية ان يأخذ بعين الاعتبار انها لغة خصبة ثرية بالألفاظ، فلكل مفردة معنى اصطلاحي وآخر لغوي هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن المصطلحات القانونية الفرنسية الناتجة عن المدارس القانونية الشيء الذي جعل بعض الكلمات العربية تفرنس أي تترجم كما هي الى اللغة الفرنسية مثل "حبوس houbous →immobilisation " "واقراض "ikrad→commodite"، ويلاحظ ان كلتا الكلمتان لها معان مختلفة وبعيدة كل البعد عن اصلهما باللغة العربية[2]. لذلك اعتمدت فرنسا على مجموعة من القضاة الجزائريين وهم :

احمد المجاهد: وهو بن محمد عبد القادر ابو طالب، تولت أسرته القضاء مبكرا على يد عمه احمدبن علي بن أبي طالب، عمل أباه قبله في سلك القضاء بمدينة سطيف ثم قسنطينة، أما هو فتولى القضاء بمدينة سطيف ثم مستغانم ثم انتقل إلى مدينة الأربعاء بالعاصمة [3].

---

[1] Charles feraud,opcit pp :399-400.

[2] Ernest mercier,interprete,traducteur assermente ,l'art de la traduction l'interprétariat en algerie,typograhie Adolphe jourdan impremerie libraire editeur,alger,1903,p :15

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 04، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 484.

الطيب بن المختار بن البشير: عمل قاضيا بالجزائر العاصمة ثم معسكر وواصل مشواره في سلك القضاء حتى تقاعد منه.

احمد لغميش: بالإضافة إلى قيامه بترجمة القرآن الكريم الى اللغة الفرنسية تولى مهنة المحاماة في محكمة الاستئناف بالجزائر العاصمة.

حسن بن بريهمات: خريج المدرسة الفرنسية بالجزائر، عمل قاضيا بمدينة البليدة في المكتب العربي، تنقل بين مختلف الوظائف حتى أصبح مدير المدرسة الرسمية، بعدها تولى القضاء بأمر من الحاكم العام "راندون" فأصبح رمز قضاء السلطة الفرنسية حيث قام مع مجموعة من زملائه وهم المفتي حميدة العالمي والصحفي السياسي احمد البدوي ومحمد بن مصطفى بترجمة القانون الخاص بتنظيم المحاكم الإسلامية بالجزائر سنة 1859م[1].

وهكذا فان السلطات الفرنسية أبقت على القضاء الإسلامي في السنوات الأولى للاحتلال لكن دائما تحت الحراسة المشددة ،وبوضوح سياسة الاحتلال الدائم بدأت تدريجيا بإنشاء محاكم فرنسية عسكرية ثم مدنية وأخذت تنزع صلاحيات المحاكم الإسلامية التي بقيت تعالج قضايا الزواج والطلاق فقط.

وفي سياق كل هذه المعطيات التاريخية حول حركة الترجمة والمترجمين قدم لنا "فيرو" صورة عن هذه الحركة في الجزائر التي طورها المستشرقون العسكريون الذين كرسوا حياتهم لخدمة الإدارة الاستعمارية بمعية بعض الجزائريين الذين انخرطوا في فلكهم، فاستفادت اللغة الفرنسية ولم تستفد اللغة العربية بل كانت كما خطط لها أنصار الترجمة ،تموت بالتدرج من العربية إلى الفرنسية. وشجعت الإدارة الفرنسية مايلي:

- اللهجات المحلية واللغة الدارجة
- سيطرة اللغة الفرنسية في الإدارة والقضاء والصحافة والجيش ثم الشارع خاصة في المدن الكبرى.
- تدريس اللهجات. المحلية للفرنسيين والأوروبيين في المدارس
- تدريس اللهجات البربرية والأمازيغية وتسييسها لمنافسة اللغة العربية.
- مهاجمة ومحاربة. الإسلام من قبل رجال الكنيسة
- اعتبار اللغة الفرنسية لغة رسمية في الجزائر والعربية لغة ثانية (أجنبية).

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر ...، ج04، المرجع السابق، ص 517.

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة خلصنا إلى مجموعة من النتائج والاستنتاجات:

عرفت حركة الترجمة خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر نشاطا مكثّفا في مختلف مجالات الحياة العسكرية، والسياسية والقضائية، وصولا إلى مجالات الفنّ والمعرفة، وهو ما أفضى بالمستعمِر إلى تحصيل ذخيرة هامة من الوثائق والمخطوطات التي انكبّ على ترجمتها، واعتمد عليها في صياغة أولى الكتب الاستشراقية حول الجزائر.

لقد شارك في هذه المهمة عدد من المترجمين الذين كانوا في أغلبهم من عرب المشرق أو يهوده وبعض الفرنسيين المستشرقين،وهم في العموم مترجمون تفاوتت مراتبهم ومراكزهم الاجتماعية، السياسية والعسكرية، فمنهم من كان قاضيا ومنهم من كان طبيبا وارتقى على السّلم العسكري درجات إلى أن صار جنرالا.

ان الترجمة من الفرنسية إلى العربية، قد اجتهد فيها بعض الجزائريين من المترجمين الذين تعلموا الفرنسية وكانوا ينتمون إلى فرقة المترجمين الاحتياطيين، فبعد أن حققت الحملة الفرنسية غايتها في الهيمنة على الجزائر، أصبحت فرنسا أكثر من أي وقت مضى بحاجة إلى "وسطاء" يساعدونها على التغلغل في أعماق المجتمع والإحاطة بأحواله وظروفه. وأدرك الفرنسيون أن "عبقريتهم" الفرنسية مهما بلغت لن تجدي نفعا أمام رداءة وفشل الترجمة.

لعب المترجمون العسكريون في الحملة الاستطلاعية على الجزائر من خلال وظائفهم كوسطاء، وبفضل كفاءاتهم اللغوية والأدبية التي تقتضيها طبيعة مهامهم وكذلك قربهم من مختلف الجماعات، دورا هاما في التبادل بين المستعمِرين والمستعمَرين ،وفي بناء أول "معرفة استعمارية عالمة حول الجزائر"، وبالأخص في الفترة الممتدة بين 1830 و1870م، حيث أنّه وبحلول سنة 1870م تمّ تهميش هذا النوع من الأبحاث والدراسات لتحلّ محلها تدريجيا العلوم الجامعية والدراسات الأكاديمية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 06، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998
2. ــــــــــــــــ، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج01، ج4، ط03،طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009
3. ــــــــــــــــ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 04، ج 05، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998
4. محمد الصالح بكوش، دور المترجمين في احتلال فرنسا للجزائر، مجلة أول نوفمبر، العدد 170، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، أفريل 2007
5. بليل وداد، الترجمة في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي 1830- 1962، أطروحة دكتوراه علوم غير منشورة في الأدب الحديث، جامعة أم البواقي، 2016-2017
6. حنيفي هلايلي، المترجمون في الجيش الفرنسي:آليات وركائز الإدارة الاستعمارية في الجزائر 1830-1962، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 11-12، مارس 2016
7. يوسف مناصرية، دور المترجمين العسكريين في الجيش الفرنسي بالجزائر، مجلة التاريخ، عدد خاص 13، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1981
8. Charles Féraud, les interprètes de l'armée d'Afrique, Jourdan libraire éditeur, Alger, 1876
9. René Basset « les chaires de langue arabe d'Alger, de Constantine et d'Oran 1832-1879 » in R.A n24, 1924